الفصل الثامن

الآثـــار السلبيـــة للطـــلاق

١. نتائج الطلاق على الصحة الجسدية والنفسية

تُظهـر معظـم الدراسـات أن المتـزوجين بوجـه عـام أكثـر سـعادة مـن العزاب أو الأرامل أو المطلقين. وفي دراستين أجريتا في الولايات المتحدة في الأعوام ١٩٥٧، ١٩٧٦ برهنتا على وجود ارتباط بين الشعور بالهناء، وبين حالة الزواج. وقد تأيدت هذه النتائج في بحوث أخرى.

كذلك تشير بعض الأدلة إلى أن الرجال غير المتزوجين أقل سعادة من النساء غير المتزوجات مما يوحي بأن فائدة الزواج للرجال أكثر من فائدته للنساء، فالرجال يحصلون على إشباع أكثر من الزواج إذا قُورنوا بالنساء. فالزوجات يوفرن للأزواج دعماً اجتماعياً أكثر مما يوفره لهن الأزواج وهن يقمن بدور أكبر كمحل للثقة وحفظ الأسرار، كذلك فإن النساء المتزوجات أكثر استعانة بصديقاتهن أو قريباتهن للحصول على

الدعم إذا ما قُورنّ بالرجال المتزوجين.[1]

جدول رقم: (١)

جدول السعادة لدى المتزوجين والعزاب والمطلقين

	نسبة من هم أكثر سعادة	
	رجال	نساء
متزوجون	٣٥	٤١,٥
عزاب	١٨,٥	٢٥,٥
مطلقون	١٨,٥	١٥,٥

ويعود هذا الفارق بين الرجال والنساء إلى أن النساء لديهن استعداد أكبر لتقرير وجود مشكلة انتقالية أو نفسية والتماس المساعدة. ولكن مستوى السعادة أقل عند النساء المطلقات. الأمر يختلف كلياً بين الرجال والنساء لأن وضع المطلقة أصعب من وضع المطلق.

كما يقل احتمال أن يعاني المتزوجون من اضطراب عقلي بالمقارنة مع العزاب أو المنفصلين أو المطلقين أو الأرامل ويعرض الجدول التالي متوسطات من دراسات عديدة تبين نسبة غير المتزوجين إلى المتزوجين في احتمال الإصابة بالاضطراب العقلي:

جدول رقم(٢)[2]

	أعزب	مطلق	أرمل
رجال	٣,١٣	٥,٠٩	٢,٥٣
نساء	١,٧٤	٢,٨٠	١,٤٣

1- عالم المعرفة، سيكولوجية السعادة، العدد ١٧٥، الكويت ١٩٩٣ ص٣٠.

2- سيكولوجية السعادة، مصدر سابق، ص٤٢.

إن ردود الفعل حيال المشكلة تختلف بين الرجال والنساء، فقد يكثر الرجال من التدخين أو شرب الكحول أو القيادة المسرعة، بينما معظم النساء يعبرن عن المشاكل بطرق مختلفة كاللجوء إلى الصلاة أو طلب مساعدة الأصدقاء.

والحل المتبع من قبل النساء هو الحل المثالي. وخاصة إذا كانت نوعية الأصدقاء جيدة. بينما التدخين وشرب الكحول يؤدي إلى الإدمان. والاسترخاء مفيد للصحة حيث إنه يحافظ على مستوى منخفض من ضغط الدم وهذا ما تؤمنه الصلاة. بينما القلق والتهور في القيادة وعدم البوح بالمشكلة يؤدي إلى زيادة ضغط الدم والقلق والغضب.

"إن حوادث الطرق، والموت غرقاً أو حرقاً أكثر شيوعاً بين المطلقين ومن الممكن أن تدخل بعض هذه الحوادث تحت بند إيقاع الأذى بالنفس، ونسبة كبيرة من هذه الحوادث لها صلة بإدمان المسكرات والإفراط في الشراب كاستجابة عامة لانهيار العلاقات الزوجية. والسبب الثاني يرجع إلى أن انهيار العلاقة الزوجية تؤدي إلى عدم القدرة على التركيز والإجهاد وضعف الأداء. هذه العوامل تزيد من احتمالات الإصابة بالحوادث. كما تدل الإحصائيات أن المطلقين يشربون أكثر من المتزوجين ثلاث مرات ويشربون أكثر من ٥٠ وحدة من الكحول في الأسبوع ويدخنون بشراهة، ويمارسون الجنس بطريقة متكررة وعابرة وغير صحية. وهناك دليل واسع على إن أحد النتائج الأساسية لانهيار الزواج هو تدهور صحة الأفراد على المستوى السيكولوجي والجسدي وأن الطبيب أول من يشهد نتائج التوتر في العلاقات الزوجية."[1]

1- ماري كيرك، الطلاق، الطبعة الأولى، دار الثقافة، القاهرة ١٩٩٩، ص٧٦.

وفي دراسة "لدوركايم" تبين أن معدل الانتحار يزداد في أوروبا مع زيادة عدد حالات الطلاق فكلما ارتفع معدل الطلاق ارتفع معه معدل الانتحار، ويرفض دوركايم التفسير الذي يقول أن الانتحار هو نتيجة المزاج المتطرف لأن الذين يملكون مزاجاً متطرفاً هم من المتزوجين والمطلقين، ولكن معدل الانتحار عند غير المتوازنين المطلقين أعلى بكثير من معدل الانتحار عند المتزوجين الغير متوازنين. ويصل دوركايم إلى التفسير بأن تفكك الأسرة والتغيرات السلبية الناتجة عن الطلاق هي السبب في الإقدام على الانتحار. ويضيف دوركايم أن الاختلال المفاجئ للتوازن الاجتماعي والأخلاقي يرفع من معدل الطلاق، وكذلك ترتفع معدلات الانتحار في أوقات الأزمات الاقتصادية (الإفلاس أو الرخاء أيضاً)، والسبب هو الاختلال في النظام المجتمعي؛ ففي حالة الرخاء والاستقرار المادي تكون مستويات الطموح محدودة، وهذه الحالة المسببة للانتحار تسمى "الانتحار الل نظامي" أي بسبب الفوضى المجتمعية أو الأسرية. وبالطبع إن الفوضى والانغماس في اللهو وعدم النظام حالات تسبب خللاً ضمن العائلة فتتفكك.

٢. انحراف الأحداث

تأتي مشكلة انحراف الأحداث في المراتب الأولى من بين النتائج الاجتماعية النفسية لظاهرة الطلاق.

تعريف الحدث:

يمكن تعريف الحدث ذكراً كان أو أنثى على أنه الذي لم يبلغ من العمر ١٨ سنة. ويعتبر منحرفاً إذا وجد في ظروف غير عادية خارجة عن

المألوف مثلاً إذا وجد في حالة إدمان أو احتيال، أو دعارة، أو إذا كان غير مستقر في بيت ويرافق جماعة من المتشردين أو المشتبه فيهم، أو إذا اشتهر بسوء السيرة في تعامله مع الناس.

فالانحراف لدى الأحداث هو من صنع الآباء في الدرجة الأولى بسبب عدم التوافق والانسجام في الزواج، وبسبب عدم إعداد الزوجين إعداداً صالحاً للحياة الزوجية وتفشي الجهل واللجوء إلى الخرافة وبسبب الأوضاع الاقتصادية والحرب التي استمرت لسنوات ومنعت الكثيرين من متابعة تحصيلهم العلمي أو من تأمين الرعاية الصالحة، فالأحداث قد ينقادون بسهولة حين تقدم لهم أبسط المغريات.

ونتيجة الخطأ في التربية ونقص الرعاية تتهيأ الأجواء لخلق هذه الظاهرة وردود الفعل المنحرف وخاصة عندما يصبح الأولاد نقطة الخلاف بين الزوجين فيحاول كل منهم ضم الأطفال إليه كي ينتقم من الطرف الآخر أو يتم تنصيب الأولاد قضاة لحل مشاكلهم الخاصة، فيقحمونهم بأمور لا طاقة لهم على احتمالها، فيصبح الولد هو الضحية وهو الذي يتحمل وزر المشكلة، وعندما يفتقد إلى الحب والأمن يفقد ثقته بالعالم من حوله وبالآخرين.

"لقد ذكر "ماسلو" مجموعة من الأعراض، صنفها في ثلاث فئات تعد أساساً للشعور بعدم الطمأنينة النفسية، وهي:

١. شعور الفرد بالرفض وبأنه شخص غير محبوب وأن الآخرين يعاملونه بقسوة واحتقار.

٢. شعور الفرد بأن العالم يمثل تهديداً وخوفاً وقلقاً.

٣. شعور الفرد بالوحدة والعزلة والنبذ".[1]

"أما هورناي **Hornay** فترى أن هناك جملة من الظروف والأوضاع السلبية خاصة في المحيط الأسري كالإهمال، والعزلة، يمكن أن تؤدي إلى فقدان الطمأنينة والذي بدوره يؤدي إلى القلق وخاصة أن عدم توفر الأمن والطمأنينة في العلاقات خاصة بين الطفل والأم يتسبب في نشأة مشاعر من الاضطراب تظهر في صورة اتجاهات عُصابية تؤدي إلى سلوك الفرد لواحد من ثلاثة اتجاهات، فإما التحرك نحو الآخرين، أو التحرك بعيداً عن الآخرين، أو التحرك ضد الآخرين"[٢]

وهذا التحرك إما أن يتمثل بتحرك عدواني أو بالبحث عن بيئة ملائمة أكثر تتماشى مع حاجاته المكبوتة، والخطورة تكمن عندما يتوجه الولد إلى جماعات سيئة منحرفة شاذة، دون أن يلاحظ الأهل، أو دون أن يهتموا للأمر بسبب انشغالهم بمشاكلهم الخاصة، أو بسبب وجود انحرافات داخل الأسرة كأن يكون الأب مدمناً مثلاً فلن يكترث لإدمان الأولاد.

إن ظاهرة جناح الأحداث ملازمة للمجتمع وإن الميول والاتجاهات العدوانية المنحرفة مرتبطة عند الفرد بأبويه وبالمحيط الاجتماعي.

يؤكد بولبي **"Polpy"** أن فقدان الأطفال للاهتمام والتعلق الوالدي يؤدي إلى تطوير مشاعر من عدم الإحساس بالأمن والطمأنينة النفسية مما يجعلهم يفشلون لاحقاً في إقامة العلاقات والتفاعلات الاجتماعية وبالتالي الشعور بالسلبية والانسحاب والوحدة النفسية.

---

1 مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (١) المجلد الثامن عشر، ص٣٣١.

2- المصدر نفسه ص٣٣٢.

كما يرى "ديتاماسو **Ditamaso**" وزملاؤه أن الأفراد المطمئنين نفسياً يملكون مشاعراً إيجابية عن أنفسهم وعلاقاتهم، إضافة إلى تمتعهم بمهارات اجتماعية متوازنة يحققون بواسطتها ارتقاء طبيعياً وتحولاً أساسياً خلال مراحل نموهم.

كما ظهرت دراسة قام بها جبر بغرض دراسة العلاقة بين بعض المتغيرات الديموغرافية ومستوى الأمن النفسي، تبين أن الفئات العمرية الأقل سناً (١٧-٢٠ سنة) هي الأقل شعوراً بالطمأنينة النفسية، وقد فسر ذلك بتعرض المراهقين والشباب في المجتمعات العربية إلى ضغوط نفسية"[1].

لظاهرة انحراف الأحداث أكثر من مسبب ولكن من الواضح تماماً وبناءً على الدراسات والنظريات في علم النفس وعلم الاجتماع التشديد على دور الأسرة في خلق هذه الظاهرة. ومن المؤكد أن الطفل الذي لقي من والديه القسوة والإهمال وشهد مواجهات مؤذية لمشاعره أوصله ذلك إلى شؤون الانحراف والإجرام.

٣. وضع المطلقة

يزداد الضغط النفسي على الزوجة بعد الطلاق فتواجه المطلقة مشكلات اجتماعية ونفسية واقتصادية بسبب عدة عوامل ومن أهم هذه العوامل صعوبة التأقلم مع الوضع الجديد والأسف على سنوات العمر، كما تواجه المطلقة نظرات شك وعدم ثقة من بعض الفضوليين لأن نظرة المجتمع إلى المطلقة نظرة غير سليمة. وهذا الضغط الاجتماعي يدفع المطلقة إلى اتخاذ موقف سلبي قد يؤدي أحياناً إلى الانحراف السلوكي

1- المصدر نفسه ص. ٣٣٨

بسبب الفشل وعدم التكيف مع المجتمع.

"فالنظرة الاجتماعية إليها أنها فاشلة في وظيفتها الاجتماعية حيث لم تنجح كزوجة فقد رفضت الانضباط أو فشلت في إيجاد صفة التكيف مع مقتضيات دورها، وينظر إليها عادة كامرأة خارجة على التقاليد، مندفعة وراء رغباتها أو رؤيتها الخاصة ويستقطب التعامل معها موقفان: الأول التجنب والثاني الانجذاب ومحاولة التقرب، بهدف إقامة علاقة عابرة انطلاقاً من فكرة شائعة تقول بأن المطلقة تسعى لتحديد علاقتها بالجنس الآخر وبأن استعدادها للاستجابة كبير. وهي عُرضة للّوم بسبب أو بدون سبب"[1]

وهذا ما أظهرته نتائج الدراسة الميدانية التي قمنا بها، فإن نسبة النساء اللواتي يعانين من الوحدة كانت ١٦,٣٪ وكانت نسبة اللواتي حرمن من أولادهن ٣٠,٣٪.

ولكن رغم كل هذه المشاكل تتمتع المرأة بمناعة ضد الصدمات العاطفية، وتأخذ وقتاً أطول من الرجل للتفكير بالزواج مرة أخرى.

٤. وضع المطلق

إن القول الشائع في مجتمعنا أن الرجل لا يتأثر بالطلاق غير صحيح على الإطلاق لأن الواقع يدل على عكس ذلك، فالزوج يتأثر عاطفياً وقد يصاب بأمراض نفسية وعصبية في حالات عديدة وخاصةً في حال وجود أبناء معه، أو في حال مبادرة الزوجة بطلب الطلاق، أو في حال تأخر الزوج

1- حطب زهير، مظاهر التمايز بين الجنسين، برنامج الاستراتيجيات السكانية والتنموية، الجزء الخامس، ص٢٠.

بالزواج بعد الطلاق، ولكن نادراً ما يبقى المطلق بدون زواج، ولكن حين تكون الصدمة كبيرة على الزوج يفضل عدم الزواج مرة أخرى.

"يعتبر المطلق ضعيف الحظ لأن شريكته لا تستحقه وهو يستأهل الدعم والمساعدة في البحث عن زوجة جديدة، حتى ولو كانت صفاته غير مشجعة، أو كانت مسؤوليته كبيرة في فشل الزواج الأول. فالمطلق صاحب حق اجتماعي في تكرار التجربة من دون مؤاخذة".[1]

"ومن الملاحظ من خلال موقف المجتمع من الجنسين، الذي يكشف تراخيه مع الرجل وتشدده حيال المرأة. إنه ينطوي على تمييز علني ضدها أحياناً ومستتر في أكثر الأحيان. وتغيير واقع الأحوال الشخصية يتطلب تغييراً في العقلية السائدة وخلفيتها الثقافية. وهو عمل طويل ويلزمه الجرأة والإصرار ويقتضي مباشرته من خلال برامج التعليم ومواده بطريقة منهجية هادفة و واعية ... وتعود جذور التفاوت بين الجنسين إلى التربية التي يتلقاها الأبناء ضمن الأسرة ... وقد أظهرت دراسات ميدانية أن العناصر المكونة للسلطة التي تمارسها الأسرة على أبنائها وبناتها ليست من طبيعة واحدة ولا هي متجانسة من حيث النوع، بمعنى أنها تركز على وقائع ومظاهر وتفاصيل في حياة الشباب من أبنائها تختلف عن الوقائع والتفاصيل التي تتصل بحياة بناتها. كما أن أسلوبها في المواجهة يختلف تجاههم في درجة تشدده في المنع أو تساهله في القبول والسماح. فالتشدد في المنع والتحريم المعتمد على التهويل والتأنيب يطال الفتيان، بينما التهديد والوعيد والقمع المباشر يصيب الفتيات ... أما أسلوب الحوار والتفاهم الذي تعتمده الأسرة عندما تحاول إقناع الشبان، فيتخذ شكل

1- نفس المرجع ص ١٩.

حوار أو تبادل للأفكار والاستماع المتبادل للانتقادات، وإبداء المرونة والتسامح وعدم التبرم إزاء الاعترافات والانتقادات التي يوجهها الشباب للأهل، بينما يعتمدون أسلوب النقاش الهادئ من فرض آرائهم وأفكارهم بصورة غير مباشرة بخصوص المواضيع التي يطرحونها مع بناتهم... هكذا يغلف الأهل سلوكهم القمعي غير المباشر بالمظاهر الديمقراطية والتفاهم الزائف. عن هذا الطريق يدرك الأبناء من الجنسين وجود فارق بينهم وهذا الوضع ثابت في مختلف الأوساط الاجتماعية والبيئات الثقافية، والمستويات الاقتصادية الاجتماعية، لأنه يعبر عن واقع اجتماعي مهيمن في المجتمع أكثر من تعبيره عن معطيات ظرفية متغيرة يحصّلها الإنسان نتيجة تجاربه الحياتية المتنوعة.

وقد أظهر تحليل المعطيات الميدانية أن الإناث يشعرن بأن معظم طاقاتهن الجسدية والعاطفية والاقتصادية مكبوتة ويَحول الأهل دون إشباعها".[1]

وخاصة عندما تكون المرأة المطلقة عاجزة عن تأمين الاكتفاء المادي فهي ستظل رهن إرادة الأب أو الأخ.

إن هذه النظرة إلى المطلقة والى المرأة بشكل عام مازالت سائدة في مجتمعاتنا رغم التغيير الذي طرأ على تفكير معظم الأفراد بشأن المساواة بين الجنسين وبشأن الزواج والأسرة بصورة عامة فالمرأة تشارك اليوم بتأمين تكاليف معيشة الأسرة وهي مضطرة للخروج إلى العمل فهي منتجة ومسؤولة ولكن الخلفية الفكرية والثقافية عند الرجال وعند النساء أيضا، تحول دون التخلي عن هذه النظرة الدونية تجاه المرأة.

1- مظاهر التمايز بين الجنسين، مرجع سابق ص ٢١.

٥. تكرار حالات الطلاق

"يلجأ غالباً الأهل ذوو المشكلات الزوجية الحادة إلى استخدام متكرر للعقوبات الجسدية، ونادراً ما يعتمدون الحوار المنطقي مع الطفل في استراتيجيتهم التربوية وكثيراً ما تؤثر العلاقات الزوجية المتوترة في ارتفاع نسبة جنوح السلوك عند المراهقين. فسلوك الأهل يؤثر بجملته في تطور الطفل ويتوجب عند دراسة هذا التأثير الأخذ بعين الاعتبار طبيعة العلاقة الزوجية القائمة بين الأب والأم.

إن سلوك الأهل هو أحد الأبعاد الوظيفية للإنسان ويتأثر كغيره بالخصائص الفردية وبتاريخ النمو للفرد وكذلك بالحالة النفسية الراهنة. فطفولة الأهل تؤثر في سلوكهم اللاحق كأهل، كما يتبين من نتائج دراسات الأطفال المعاملين بقسوة، فعدم كفاءة الأهل تنتقل من جيل إلى جيل، فالتجربة المبكرة تؤثر في طاقات الفرد وقدرته على توظيف هذه الطاقات في دوره كأب أو كأم، فالطفل الذي يرفضه أهله يكون أكثر عدوانية وعنفاً ويضطرب من الناحية الانفعالية، وسيكون أكثر قابلية عندما يصبح راشداً لرفض أطفاله".[1]

"أشارت بعض الدراسات إلى وجود علاقة بين اضطراب الطفولة وبعض خصائص الحياة الأسرية كعدم التضامن بين الأبوين والانفصال، ورفض الطفل. ويرى بعض الباحثين أن أهم الخصائص الثابتة في تاريخ الأسرة التي تسيء معاملة الصغير انتقال ظاهرة القسوة وإساءة معاملة الأطفال من جيل إلى جيل، ومن أهم العوامل المؤثرة في سلوك الآباء تجربتهم السابقة مع أهلهم. فالتجربة التي تتميز بالطاقة وشعور الطفل بأنه موقع الاهتمام

1- قنطار فايز، الأمومة، عالم المعرفة، العدد ١٦٦، الكويت ١٩٦٢، ص١٦٤.

والمساعدة تبقى حاضرة في الذهن ومؤثرة في السلوك عندما يصبح الطفل بدوره أباً أو أماً. فالمستبد إنسان قد ورث صفات الاستبداد، ونشأ في ظل عائلة تمارس كل أنواع الإذلال والتهكم وفرض الآراء وعدم الإصغاء إلى الآخرين، وهذه الصفات تنمو وتكبر مع نمو شخصية الطفل، وفق طرق تربيته وتعليمه. ويتأثر سلوك الأهلية (الأمومة والأبوة) أيضاً بشروط البيئة والثقافة والمعتقدات السائدة والقيم الأخلاقية".[1]

وتدل معظم الدراسات على أن الرجال والنساء الذين مروا بتجربة انفصال الوالدين خلال الطفولة يزداد لديهم احتمال تكوين علاقات معاشرة وليس علاقات زواج. وأن تتم هذه العلاقات- سواء معاشرة أو زواجاً في عمر أصغر مما عاش آباؤهم معاً من دون طلاق. كما زاد لدى الرجال والنساء المنتمين إلى أسر مطلقة احتمال أن يصبحوا هم أنفسهم آباء في سن صغيرة. كما أن انفصام علاقات الزواج أو المعاشرة كان أكثر حدوثاً بين من مروا بتجربة طلاق الوالدين حتى ولو كره الأبناء سلوك آبائهم، وذلك لأسباب عديدة منها عدم وجود أهل يقدمون الدعم العاطفي والمادي.

ولا يمكن تجاهل حقيقة مؤثرة جداً وهي الطلاق العاطفي، حين تملأ الكراهية قلب أحد الزوجين رغم بقائهما معاً وهذا الوضع المتشنج هو المحدد الحاسم لشخصية الطفل في المستقبل بما أن العديد من الخبرات تحدث داخل إطار الأسرة فهي التي توجه تطلعاته وتكون مسؤولة عن استبطان نظام سلوكي معين.

ولكل طبقة اجتماعية مفاهيم خُلقية واجتماعية وسلوكية وطريقة

1- نفس المرجع ص١٦٦.

تفكير تميزها عن باقي الفئات أو الطبقات. ولكي نتمكن من فهم الكائن البشري لا بد من معرفة خبراته الهامة داخل الأسرة التي نشأ فيها والتي تُعتبر من أهم المحددات الأساسية لبناء شخصية الفرد.

٦. حرمان الأولاد من وجود الأب أو الأم:

أ- أهمية وجود الأم

إن حرمان الطفل لفترة طويلة من عناية الأم قد يكون له آثار خطيرة وعميقة على خصائصه وشخصيته، وبالتالي على مستقبل حياته.

لقد أصبح من الثابت حالياً أن انقطاع العلاقة بين الأم والطفل يعود بالنتائج السلبية على الطفل وقد تبين من خلال الدراسات أن اضطراب الشخصية والعُصاب هما غالباً نتيجة الحرمان من عناية الأم. وقد لوحظ آثار عديدة للحرمان من الأمومة أهمها درجات ضعيفة في اختبارات الذكاء لدى الأطفال المحرومين، تحصيل مدرسي أضعف، قدرة أقل على بناء علاقات مؤثرة مع الآخرين، حدوث مشاكل في السلوك مثل القلق والمخاوف، والتشوق الغير عادي للعاطفة...

"ويذهب بولبي في دفاعه عن افتراضه - بضرورة وجود الأم - بأنه حتى ما يسميه غالبية الناس بالأم السيئة هي في الحقيقة أفضل من عدم وجود أم على الإطلاق، ولقد توصل ليون يارو **Leon Yarrow** من خلال أبحاثه إلى نفس النتيجة التي توصل إليها بولبي **Bowlby** وهي مدى الأضرار التي يصاب بها الوليد البشري عندما يكون بعيداً عن الأم"[1]

ويرى بولبي أن حالات القلق والهبوط العصبي وبعض الحالات المرضية

1- سيكولوجية الشخصية، مرجع سابق، ص٢١٨.

عند الكبار يمكن أن تكون على ما يبدو مرتبطة بحالات فقدان الأم أثناء الطفولة أو تلاشي التعلق بالأم. ولقد أجرى فريق من الباحثين بجامعة الينوس بعضاً من الأبحاث التي ألقت الضوء على تأثير شخصية كل من الأب والأم على المشكلات السلوكية للأطفال. و أوضحت التجربة أن الأطفال الذين وصفوا على أنهم سيئو التكيف النفسي ينقصهم الدفء الأبوي.[1]

ولقد لاحظ ليونارد أنجيل أهمية حضانة الأم في عملية التطبيع الاجتماعي وفقاً لنتائج الأبحاث التي أجراها هارلو:

لقد نجحت جماعة من الباحثين في معامل جامعة وسكنسون في تربية قردة مأخوذة من أمهاتها لحظة ولادتها تقريباً ونقلت إلى أمهات بديلة من الخشب... وتبين أن القردة الرضيعة أصبحت مغرمة بشكل خاص بأحد أشكال الأمهات البديلة وهي تلك الدمية المغطاة بنسيج ناعم. وهذه الأمهات البديلة لا تزجر ولا تعنف ولا ترفض طلب الرضع كما تفعل الأمهات الحقيقية أحياناً، إلا أن النتائج أوضحت أن هذه القردة شاذة وغريبة الأطوار بصورة عالية فهم جميعاً غير اجتماعيين والعديد منهم أظهر صورة اللامبالاة، وفقدان الشعور، يجلسون ساعة وراء ساعة في أوضاع معوجة، أو يتزاحمون في زوايا أقفاصهم متظاهرين أنهم لا يرون ولا يسمعون شيئاً. ويقول هارلو: أن هذه القردة ذكرتني بالأطفال المرضى عقلياً.

إن الأم البديلة يمكن أن تفي بحاجات القرد الرضيع لكنها لا تستطيع أن تعلمه كيف يعتني بنفسه كما تفعل الأم الحقيقية. إن الأم الحقيقية تساعد رضيعها على التطور والنمو، وتقبيله أحياناً ورفضه وزجره أحياناً أخرى يساعده على البدء في شق طريقه... هذا الحال في

1- نفس المرجع ص٢٢٣.

عالم القردة وهو أيضاً الحال بالنسبة لعالم الإنسان حيث لا يمكن الاستغناء عن الأمومة مطلقاً.[1]

ب- أهمية وجود الأب

لا يمكن تجاهل وجود الأب في الأسرة، ولقد أولت الأبحاث التجريبية هذا الموضوع بالاهتمام وعلى سبيل المثال ـ أبحاث بيترسون (١٩٦١) وبيكر (١٩٥٩) وموس ودستلر (١٩٥٩)، وستولز (١٩٥٤) ـ وغيرها.

وأهمية الأب في عملية التطبيع الاجتماعي تتمركز حول ثلاثة أسئلة.

١. كيف يتأثر الطفل في نموه في منزل بدون أب، أو في منزل يكون فيه الأب متغيباً معظم الوقت؟

٢. كيف يؤثر الأب على سلوك دور جنس الطفل؟

٣. عندما يكون للطفل مشاكل سلوكية، فهل هناك احتمال أن الأب قد يساهم في خلقها؟

"لقد أظهرت البيانات التي جمعت من خلال التجارب بأن البنات اللاتي كان آباؤهن متغيبين عن المنزل كن أكثر اعتماداً على الآخرين من البنات اللاتي كان آباؤهن حاضرين بالمنزل كما أن النتائج أظهرت أن الأولاد كانوا أكثر تأثير من البنات لعدم المصاحبة المنتظمة لآبائهم، كما أنهم كانوا غير ناضجين إلى حد كبير في أنماط سلوكهم، كما يبدو أنهم أقل تأكداً حول أدوارهم الجنسية، حيث أنهم كثيراً ما كانوا يتصرفون بطريقة رجولية مفتعلة ومبالغ فيها، وفي أحيان أخرى يتشبهون بالبنات في أنماط سلوكهم."[2]

1- سيكولوجية الشخصية، مرجع سابق، ص٢٢٥.

2- سيكولوجية الشخصية، مرجع سابق، ص٢٢٠.

"كما أن دراستين مبكرتين ألقتا الضوء على أهمية دور الأب وتأثيره على سلوك دور الجنس للولد وقد أوضحت دراسة باخ **Bach** (١٩٤٦) أن الأولاد بدون تواجد آبائهم، غالباً ما يكون لهم تخيلات وأنماط سلوكية شبيهة بتخيلات البنات وأنماط سلوكهن، كما أن بيانات دراسة أخرى أوضحت أن الأولاد الغائبون آباؤهم كانوا غير عدوانيين في لعبة الدمية مثل الأولاد ذوي الآباء المتواجدين. وعندما يألف الطفل جو العائلة بدون الأب فإنه لن يكون من السهل عليه أن يقبل عودة الأب إلى المنزل، وجدير بالذكر أن الأب عندما يكون داخل الأسرة فإنه بذلك يوفر نموذجاً ذكرياً لأولاده، لأن الطفل يحصل على خبرة قوية بقيامه بدور الأب، ويتبنى أكثر خصائص الأب، ويشمل ذلك بوجه خاص تلك التي تتعلق بدور جنسه... ولقد دلت البيانات التجريبية التي أمكن الحصول عليها صدق هذه التنبؤات..."[1] "إن النتيجة التي يمكن استخلاصها هي أن مشاركة الأب في المراحل المختلفة من حياة الطفل تؤثر تأثيراً هاماً في تطوره خصوصاً في الطفولة المتوسطة. إذ يمكن للأب أن يقوم بدوره في تشجيع الإنجاز المدرسي للطفل وفي وقايته من الانحراف وتجنيبه الجنوح. فمشاركة الأب عامل هام في نجاح الطفل ويرتكز اهتمام الأب بشكل خاص على الوضع المدرسي للأطفال فالمتابعة من قبل الأهل تؤدي إلى تحسن الإنجاز المدرسي. وعلى العكس من ذلك فعدم اهتمام الأهل بشؤون المدرسة يرتبط بقلة النجاح، وبتدهور المستوى الدراسي للأطفال ويكون الإنجاز المدرسي على علاقة بإدارة الأب ومدى تعاونه مع المعلم. ويلاحظ أن الصغير الذي يتمتع بعلاقات إيجابية مع الأب يظهر قلقاً كبيراً عند

1- سيكولوجية الشخصية، مرجع سابق، ص٢٢١.

انفصاله عنه في حالات الطلاق (**Wallerstein and Kelly 1980**) وربما كان موقف الأم من غياب الأب أكثر أهمية من غياب الأب بحد ذاته فالنتيجة المدرسية المتواضعة عند الأطفال ترتبط بموقف الأم السلبي من غياب زوجها. واهتمام الأب بشؤون الطفل يؤدي إلى تماسك الأسرة وتعاونها ويحد من احتمال ظهور السلوك المنحرف أو من سلوك الجريمة".[1]

٧. الخسائر المادية:

حين يُعقد الزواج على أساس مادي كأي صفقة تجارية، يترتب على طالب الزواج أن يدفع تكاليفاً باهظة مقابل التفاخر والإسراف، وغالباً ما يقع الزوج تحت وطأة الديون التي ترهقه، ومع وجود زوجة متطلبة تنشأ الخلافات وتعم الفوضى ثم يحصل الطلاق؛ والخسائر المادية التي تلحق بالزوجين بعد الطلاق تؤدي إلى تكبيلهما بالمزيد من الديون وقد يتم تحميل الزوج نفقة الأولاد. ومع متطلبات الأبناء قد تحرم الزوجة من حقوقها فتخسر المنزل والنفقة وتصبح عاجزة أمام واقع جديد لم تكن تتوقعه فمؤخر الصداق ليس ضماناً للمرأة وهناك نسبة مرتفعة من المطلقات يعانين من أوضاع نفسية واجتماعية صعبة. وكثيراً ما تكون الأعباء المادية، ووجود أولاد سبباً لمشاكل جديدة بالغة الخطورة على مستقبل العائلة. وكانت نسبة الذين يعانون من صعوبات مادية ضمن مجموعة الدراسة ٣٤,٩٪ أما نسبة الذين طلقوا مرة أخرى كانت ١١,٧٪ والذين طلقوا مرتين كانت نسبتهم ٧٪، ونسبة الطلاق ثلاث مرات كانت ٢,٤٪.

1- الأمومة، مرجع سابق، ص٢٢٣.

٨. فقدان الثقة بالجنس الآخر:

الثقة بين الأزواج ضرورية وأساسية وانعدام الثقة يدمر العلاقة.

وفقدان الثقة غالباً ما يكون بسبب الكذب أو الخيانة ـ قد تطرقنا لهذا الموضوع بشكل مفصل في سياق البحث ـ أو بسبب الغموض الذي يسبب الشك فعدم الصراحة تؤدي إلى نتائج مربكة. الزواج أساسه الثقة ومتى انعدمت الثقة يصعب إعادة بنائها، وكثيرون يحجمون عن الزواج بعد صدمة عاطفية تؤدي بهم إلى فقدان الثقة نهائياً بالجنس الآخر.

٩. تفكك الروابط والعلاقات بين الأسر:

أحياناً يؤدي الطلاق إلى مشاكل بين أهل الزوجة وأهل الزوج قد تصل إلى حدود ارتكاب جرائم قتل، وهذا يؤثر على سلامة البناء الاجتماعي، وظهور حالات التفكك واختلال التوازن في شخصية الأبناء الذين يشعرون بالخوف نتيجة هذه الخلافات، ولو قمنا بتفحص المحيط العائلي لمرضى الانفصام لوجدنا أن معظم هذه العائلات تعاني من صعوبات ومشاكل أسرية خاصةً بين الأم والأب.

ولا يمكن التقليل من أهمية الأسرة الممتدة التي تربطها أواصر المحبة والتعاون، ولا يمكن أن تتحقق سعادة الأفراد بين الأسر المتصارعة التي تسعى إلى الانتقام والشماتة.